

نظرة تاريخية عن مدينة مليانة (زوكابار) خلال الفترة القديمة

A historical view of the city of Miliana (Zucchabar)

during ancient period

1- أحمد سايج مرزوق*، المركز الجامعي تيبازة (الجزائر)

saiah.ahmed@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: 2025 /04/29 تاريخ القبول: 2025 /11/25 تاريخ النشر: 2025 /12/31

ملخص:

يعتبر البحث في تاريخ المدن من أهم المجالات التي تحتاج إلى دراسات عميقة، بهدف الكشف عن خباياها في مختلف الحقب التاريخية، ولعل المدن الجزائرية لم تحض بالدراسات الوافية خاصة وأن لكل مدينة خصوصية تاريخية تمتد الباحث بمادة تاريخية دسمة، لاسيما خلال الفترة القديمة حيث لا تكاد أي مدينة تخلو من الآثار والمخلفات المادية التي تعود إلى أزمنة بعيدة.

واخترت في هذه الدراسة مدينة مليانة خلال الفترة القديمة، بإلقاء نظرة تاريخية موجزة عن هذه المدينة خلال الفترة القديمة، والتي تحوي كنوزا تحتاج إلى تنقيب من طرف للكشف عن مكنونها، إذ تعتبر من الأماكن التي استقطبت الأجانب وكانت محط الحضارات القديمة، لذا سنحاول الكشف ولو جزء يسير من هذا الزخم التاريخي. كلمات مفتاحية: مليانة، زوكابار، القديم، كارتينا، روما.

Abstract:

Researching the history of cities is one of the most important fields that requires in-depth study, with the aim of uncovering their secrets throughout various historical eras. Algerian cities have perhaps not received sufficient research, especially since each city has a historical specificity that provides researchers with a rich historical resource, particularly during the ancient period, where almost no city is devoid of antiquities and material remains dating back to ancient times.

In this study, I chose the city of Miliana during the ancient period, to provide a brief historical overview of this city during the ancient period, which contains treasures that need to be excavated by someone to uncover their secrets, as it is considered one of the places that attracted foreigners and was a focus of ancient civilizations, so we will try to uncover even a small part of this historical momentum.

Keywords: Miliana; Zuccabar; Cartena; Rome.

● مقدمة

تتميز الجزائر بشساعة مساحتها وتعدد مدنها منها الساحلية وأخرى داخلية، لكل مدينة خصوصيتها الطبيعية والتاريخية التي تميزها عن بقية المدن، ومدينة زوكابار (مليانة) إحدى هذه المدن العريقة التابعة اليوم لإداريا لولاية عين الدفلى، مدينة تزخر بمواصفات طبيعية واستراتيجية هامة جعلت منها محط عدة حضارات، كما مرت بمختلف الحقب بما فيها فترتي قبل التاريخ والفترة القديمة، وهو موضوع دراستي التي عنونتها بـ "نظرة تاريخية عن مدينة مليانة (زوكابار) خلال الفترة القديمة.

تعالج هذه الدراسة الخصوصية الطبيعية للمدينة واستراتيجية موقعها الجغرافي والبحث في أصل التسمية، يليه البحث في تاريخ المدينة خلال الفترة القديمة بالتطرق إلى المدينة خلال فترة ما قبل التاريخ وأهم الاكتشافات بالمنطقة، ثم الفترة الفينيقية التي جعل منها مستوطنة باعتبار توفرها على امكانيات طبيعية هامة جذبت إليها الفينيقيين، وصولا إلى الفترة الرومانية للحديث عن اتخاذ المدينة من طرف الرومان كحامية عسكرية بالنظر إلى موقعها الاستراتيجي الذي استهوى

القادة العسكريين الرومان وجعلوها منطقة مراقبة واستطلاع وانطلاق العمليات العسكرية، وصولاً إلى الفترة الوندالية والبيزنطية.

1. الموقع الفكي والجغرافي للمدينة:

تقع مدينة مَلْيَانَة فلكياً بين دائرتي عرض 29° و 36° شمال خط الاستواء، وبين خطي طول 2° و 21° غرب خط غرينتش¹، وهي بذلك واقعة ضمن المنطقة المعتدلة وذات المناخ الملائم، وتقع في قلب الجزائر وسط الطبيعة فهي غنية بالمياه ومختلف المزروعات لذا كانت ولا تزال منذ فترة فجر التاريخ (Protohistoire) تتبوأ مكانة ودورا سياسيا، علميا وتجاريا، لذا عمل الملوك عب التاريخ على امتلاكها والسيطرة عليها لاسيما خلال الفترة القديمة².

أما جغرافياً فمدينة مليانة واقعة ضمن إقليم ولاية عين الدفلى تتوسط جبال الونشريس وجبال الظهرة، تبعد عن الجزائر العاصمة بـ 120 كلم وعن ولاية الشلف بـ 100 كلم³، يحدها من الشمال بلديتي عين التركي وبن علال، ومن الجهة الشرقية بلدية عين التركي، ومن الغرب بلدية بن علال، أما جنوباً فبلديتي خميس مليانة وعين السلطان⁴، لتكون المدينة بذلك على شكل بيضاوي مرتفعة عن سطح البحر بارتفاع يتراوح بين 726 و 749 متراً، بمساحة إجمالية قدرت بـ 23773 هكتاراً⁵.

تطل المدينة منبع مائي هام وهو واد الشلف من الجهتين الشرقية والجنوبية، تجري بالمدينة مياه عذبة سطحية وباطنية، وهو ما ساهم في الاخضرار الدائم للنباتات والأشجار التي تنمو بالمدينة وذلك طوال طوال أيام السنة كما تحتوي على ثروة معدنية⁶، كما تنتشر عبر كامل أرجاء المدينة أشجار الجوز الباسقة، والتي تنتج كميات كبيرة من الثمار علماً أن طول الأشجار جعل السكان لا يقطفون

¹ إبراهيم نغلي، تاريخ مدينة مليانة من خلال الكتابات التاريخية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 20، جوان 2018، ص 114.

² عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدينة، مليانة)، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، برج الكيفان – الجزائر 2007، ص 287.

³ روبرتاج: مدينة مليانة، نسرين أحمد زاوي – <https://www.elhayatarabiya.net>

⁴ إبراهيم نغلي، المرجع السابق، ص 114.

⁵ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 289.

⁶ نفسه، ص 289.

كل الثمار، كما تحيط بالمدينة بساتين شاسعة بها أحسن ما في الجزائر من أشجار الليمون، كما تنمو بها أيضا أشجار البرتقال التي تعطي ثمارا جيدة تباع في سوق كارتينا (تنس).⁷

2. أصل التسمية

من خلال ما تم ذكره وتداوله في مختلف المصادر والمراجع فإن اسم مدينة مليانة شهد تطورا وتغيرا عبر التاريخ، كما تبين لنا بعض الاختلافات البسيطة في شكل كتابة اسم المدينة، فضلا عن ذلك الاختلاف في تحديد أصل بعض التسميات قديما منها من يرجعها إلى الأصل المحلي، ومنها من ينسبها إلى الأصل الفينيقي بينما قسم آخر يرجعها إلى الأصل اللاتيني الروماني، لذا سنحاول التطرق وعرض تطور اسم المدينة لاسيما خلال الفترة القديمة.

يعود أصل تسمية مليانة إلى فترات قديمة تحديد إلى الفترات الليبية، الفينيقية واللاتينية، حيث تذكر المصادر الكتابية اللاتينية والمصادر المادية المتمثلة في النقوش الحجرية المكتشفة من خلال الحفريات التي أجريت بالمدينة وضواحيها خلال القرن 19 م، اسمين أساسيين هما مَنليانة (Manliana) و زُوقَبار (Zucchabar)⁸، وهذا الاختلاف في تسمية المدينة لاسيما اسم مليانة الذي ذكر بصيغ كثيرة يعود إلى اختلاف المصادر من جغرافيين ومؤرخين محليين أو أجنب.⁹

ويذكر الحسن الوزان أن الرومان أطلقوا اسم منيانة (Magnana) لكن هذا الاسم تم تحريفه من طرف العرب ليصبح مليانة¹⁰، ويشير عبد الرحمن الجيلالي اعتمادا الباحث الإنجليزي شاو أن المدينة اسمها منيانة، إلا أن النطق المحلي للسكان لاسم المدينة غير الاسم ليصبح مليانة¹¹، ويعود أصل التسمية الرومانية منيانة في تنسب إلى السهل الخصب لواد بوتان وهي المنطقة التي تقع بها مدينة خميس مليانة اليوم، علما أن إطلاق الاسم تحديدا نسبة إلى عائلة رومانية تلقب بمانيلا، حيث اكتشف نصب تذكاري عام 1849 نقش عليه هذا الاسم اللاتيني¹².

⁷ مارمول كريخال، إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة محمد حيي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط 1989، ص 359، 360.

⁸ محمد حاج صادق، مليانة وولها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1989، ص 20

⁹ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 287.

¹⁰ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة محمد حيي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان 1983، ص 34.

¹¹ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 287.

¹² إبراهيم نغلي، المرجع السابق، ص 116.

يضيف عبد الرحمن الجيلالي أن بعض العارفين من سكان المدينة ونواحها يتداولون رواية تفيد أن اسم مليانة مشتق من المصطلح ملانة أي المليانة بالخيرات والثروات، وذلك نظير ما تجود به المدينة من خيارات متنوعة وبكميات كبيرة¹³، كما أن ذكر قاموس معاني الأسماء اسم ميليانا على أنه ذو أصل لاتيني مشتق من اسم إميليا، والذي يعني المرأة التي تكافح وتسعى في حياتها كما يعني المرأة الراحلة¹⁴، كما درس بربروجر (Berbrugger) كتابة منقوشة على قبر اكتشف قرب خميس مليانة سنة 1849، يحوي اسما لفتاة هو منليا (Manliae)، وهي بنت لوكيوس (Lucius) من أثرياء الرومان¹⁵، أما الباحث باسي (R. Basset) فيرى أن وجود أحد القصور بإقليم توات يسمى مليانة، يؤكد على دحض أسبقية الرومان في تسمية المدينة بالاسم اللاتيني مليانة (Miliana)¹⁶.

أما التسمية الثانية التي أطلقت خلال الفترة القديمة على المدينة هي زوكابار (Zucchabar)، وينسب بعض المؤرخين هذا الاسم إلى كلمة فينيقية تعني سوق القمح¹⁷، كما يعتبر البعض أنه اسم لاتيني أطلقه الرومان على المدينة بعدا جعلت مستعمرة لهم، فذكرت باسم كولونيا أغسٹا أي مستعمرة الامبراطور أغسطس¹⁸، بينما يؤكد آخرون أن اسم زوكابار لا علاقة له باللاتينية بل هو اسم محلي خالص، يعود إلى فترة سابقة للوجود الروماني، حيث يرجع أصل التسمية إلى اشتقاقه من اللغة الليبية المحلية ومن الفينيقية، وقيل أن "زوك" هي سوق في اللغة السامية، و"اب" هو اختزال لـ "أبدير" الذي يعتبر من الآلهة الليبية التي اعتقد بها السكان المحليون¹⁹.

3. مدينة مليانة قديما:

عرفت مدينة مليانة مختلف الحق التاريخية كما مرت بفترة ما قبل التاريخ، وهذا اعتمادا على المخلفات المادية التي تم اكتشافها بالمدينة وضواحيها، عن طريق أعمال التنقيب التي أجريت بمواقع عدة فضلا على اعتماد الدراسات التاريخية الحديثة وهو ما سيتبين من خلال التطرق إلى تاريخ المدينة.

¹³ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 288.

¹⁴ القاومس الالكتروني: قاموس معاني الأسماء – meaningnames.net.

¹⁵ محمد حاج صادوق، المرجع السابق، ص 20.

¹⁶ Basset @, études sur la Zenata de l'ouarsnis du maghreb central parts, Paris 18, p 2.

¹⁷ إبراهيم نغلي، المرجع السابق، ص 116.

¹⁸ Samira Bendris Oulbsir, sur les traces du passé glorieux de l'ancienne Zucchabar, In : Liberté, 24.02.2021.

¹⁹ محمد حاج صادوق، المرجع السابق، ص ص 21، 22.

3-1 فترة ما قبل التاريخ:

كشفت الحفريات والتنقيبات الأثرية التي أجريت عام 1961م حول منابع بوتشتون (*Boutechtoun*) الواقعة شمال مدينة مليانة عن آثار مهمة لصناعات ميكروليثية، والتي تعود حسب علماء الآثار إلى العصر الحجري الحديث، ونسبت تلك الاكتشافات تحديدا إلى الحضارة القفصية²⁰، علما أن هذه الأبحاث قادها الباحث في علم الآثار بلوخ (*Bloch*) أين تم اكتشاف بعض الأدوات الحجرية من السيليكس²¹.

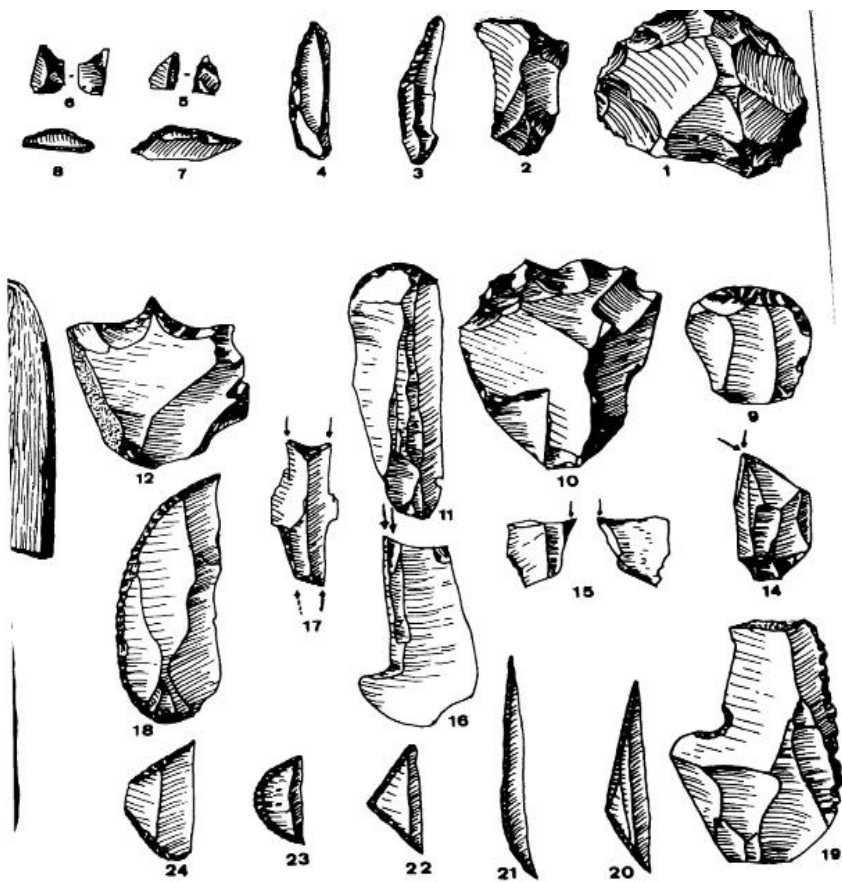
والحضارة القفصية سميت بذلك نسبة لمنطقة قفصة بتونس التي اكتشفت فيها أولى أدوات هذه الحضارة، وأطلق عليها هذه التسمية دي مرغان عام 1905م، حيث تنقسم القفصية إلى مرحلتين أساسيتين هما القفصية النموذجية أو المحضة والقفصية العليا، التي يؤرخ لهما بين 7000 و 4500 ق.م، تنتشر مواقع هذه الحضارة بين دولتي تونس والجزائر منها ما اكتشف في مليانة وضواحيها²²، وتعددت الأدوات التي صنعها الإنسان القفصي والتي تم الكشف عنها من طرف علماء الآثار بمناطق متعددة بالجزائر لاسيما بمليانة وهي عبارة عن أدوات صنعت من الحجر الكلسي (أنظر الشكل رقم 00).

الشكل رقم 01: مجموعة من الأدوات الحجرية للحضارة القفصية

²⁰ Benyoucef Abas-Kebir, *Miliana guide historique et culturelle*, In : *Algermiliana.com*

²¹ إبراهيم نغلي، المرجع السابق، ص 117.

²² محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص ص 119، 120.



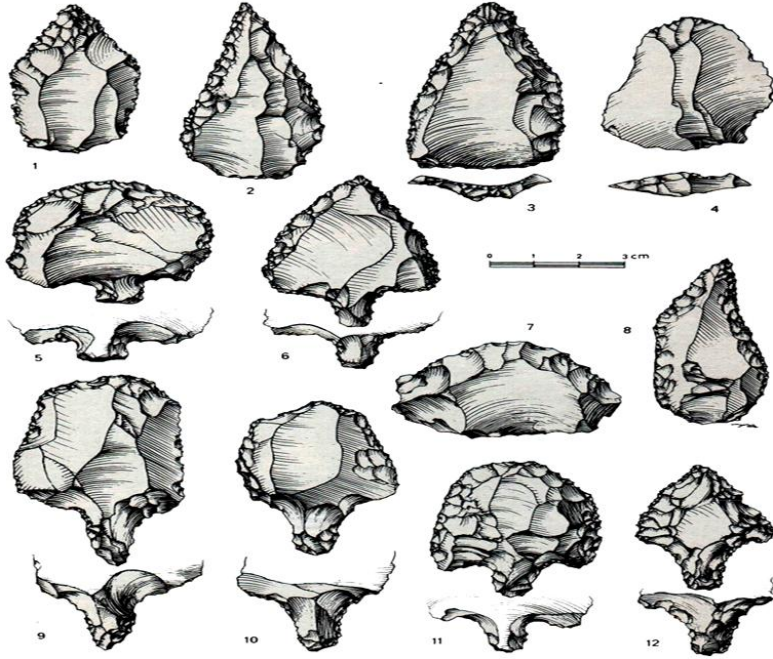
المرجع: محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 123.

كما يرجح اكتشاف أدوات بالمدينة تعود إلى الحضارة العاترية، ونظرا لطبيعة المدينة الجبلية فقد سكان سكانها خلال فترة ما قبل التاريخ داخل الكهوف، فضلا على بعض الخيام أين تركزت قرب الوديان التي تتوفر عليها المدينة²³، علما أن الحضارة العاترية حضارة محلية خالصة سميت بذلك نسبة لموقعها الأساسي القريب من واد الجبانة ببئر العاتر التي تبعد بحوالي 90 كلم عن مدينة تبسة بالشمال الشرقي للجزائر، والتي عثر على أدواتها بمواقع عدة منتشرة في الجزائر، وتتميز عن بقية الحضارات الأخرى بميزة خاصة في أدواتها الحجرية (أنظر الشكل رقم 00) ألا وهو وجود الساق (الذنب) في أدواتها المصنوعة بحجر الكوارتز²⁴.

²³ إبراهيم نغلي، المرجع السابق، ص 117.

²⁴ محمد رشدي جراية، السمات الحضارية للعصر الحجري القديم الأوسط في بلاد المغرب، مجلة البحوث والدراسات، العدد 15، السنة العاشرة، 2013، ص ص 283، 284.

الشكل رقم 02: أدوات حجرية خاصة بالحضارة العاترية



المرجع: محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص. 286.

2-3 فترة الوجود الفينيقي:

الفينيقيون هو اسم أطلقه الإغريق (*Phoinikes*) على المنطقة الساحلية لكل من سوريا ولبنان وأرض كنعان، ويعني اسمهم اللون الأرجواني (*Purple*) نسبة لصناعة الألبسة والصبغة ذات اللون الأرجواني²⁵، وساهمت جملة من العوامل جعلت الفينيقيون يتجهون صوب تونس الحالية لتأسيس دولتهم قرطاجة، نذكر منها الهجمات المتكررة على دولتهم فينيقيا من طرف الأراميين والعبرانيين، الرغبة في الاستحواذ على ثروات الحوض الغربي للمتوسط عن طريق الاستقرار بالقرب منها، فكان أول اتصال بتأسيس أول محطة حوالي عام 1101 ق.م وهي أوتيكا (*Utique*)، وغيرها من المحطات والمرافئ التي توجت بتأسيس قرطاجة عام 814 ق.م²⁶.

²⁵ عبد المالك سلاطينية، بصمات الحضور الفينيقي البوني بشمال إفريقيا، دار الارشاد للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر 2013، ص 33.

²⁶ محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، ص 2006، ص ص 18، 19.

وقد استقر الفينيقيون في مناطق عدة على غرار يول (شرشال) التي يرجح أن اسمها مأخوذ من إحدى أسماء الآلهة الفينيقية، ويول كانت تتبعها عدة مناطق منها مليانة²⁷، هذه الأخيرة عرفت تأثيرات فينيقية نظرا لاستقرارهم بالقرب منها تحديدا بيول، حيث جعلوا المدينة مركزا للنشاطات مختلفة واعتبروها أهم مناطقها الاستراتيجية، فكانت بذلك نقطة مراقبة ودفاع عسكري للفينيقيين ثم القرطاجيين بعدهم²⁸، كما جعل الفينيقيون من مدينة مليانة مستوطنة استراتيجية لهم، وتم اكتشاف عدة نقائش لمليانة وما جاورها نذكر منها نصب تذكاري نحت فيه شكل آدمي يرجح على أنه يعود للآلهة تانيت، فضلا على العثور على نقيشة أخرى مهداة لشخص يحمل اسم فينيقي ذكر باسم "أبو قراط بن بودميلكار" (*HippocratisBodmilcarisFiluis*)²⁹.

3-3 فترة الاحتلال الروماني:

يعتبر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان أن مدينة مليانة رومانية التأسيس حيث يقول: "مليانة بالكسر ثم السكون وياء تحتها نقطتان خفيفتان وبعد الألف نون، مدينة في آخر إفريقية بينها وبين تنس أربعة أيام وهي ومدينة رومية (رومانية) قديمة، فيها آبار وأنهار تطحن الرحي جدها زيري بن مناد وأسكنها بلكين"³⁰، وهي مدينة كبيرة قام الرومان ببنائها فوق جبل مرتفع جدا، على بعد أربعة عشر فرسخا من شرشال في داخل البلاد وعلى بعد خمسة عشر فرسخا غربي مدينة الجزائر، وموقعها على ما ذكره بطليموس تحديدا عند خمس عشرة درجة وخمسين دقيقة من خطوط الطول، وثمان وعشرين درجة وخمسين دقيقة من خطوط العرض³¹. فمدينة مليانة هي مدينة قديمة أسسها الرومان على أنقاض المركز الفينيقي، وجعلوا منها منطقة استراتيجية نظرا لموقعها الهام وأطلقوا عليها اسم زوكابار³²، وأصل تأسيس الرومان لمستعمرة مليانة كغيرها من المستعمرات الأخرى ببلاد المغرب القديم يعود إلى تشكيل أحزمة وقائية وحاميات حول

²⁷ عبد المالك سلاطينية، المرجع السابق، ص 163.

²⁸ Benyoucef Abas-Kebir, op. cit.

²⁹ إبراهيم نغلي، المرجع السابق، ص 117.

³⁰ ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثامن، تصحيح وترتيب أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، ط1، مصر 1906، ص 155.

³¹ مارمولك ريخال، المرجع السابق، ص 359.

³² Chabbi-chemrouk Naima et Menouar Oussila, *Réhabilitation de l'architecture mineure a Miliana*, In: *Villes en parallèle*, n° 36-37, décembre 2003, p 211.

المدن الكبرى، مثل سيقا (Siga)، ليكسوس (Lixus)، يول (Iol) وهذه الأخيرة التي تتضمن عدة مستعمرات منها مليانة. وكان هدف الإدارة الاستعمارية الرومانية من وراء ذلك هو عزل المناطق الرومانية المحتلة عن المناطق الجبلية الثائرة ضدها وضد سياستها³³.
لأزالت عدة آثار شاهدة على الوجود الروماني بمدينة مليانة إلى يومنا هذا، منها بقايا العمارة الرومانية لا سيما الأسوار التي شيد على إحداها نصبا تذكاريًا نقش عليه كتابة لاتينية تخص حفيد القائد الروماني بومي وابن حفيده المدفونان في مليانة وهذا نصه:

Q. Pompeio

C.N.F. quiritlementi La...

Duvr ex testamento

Q. Pompeio F. quia rogetifatsis sui

Mabraposuit

*Pompeioq.p*³⁴

كما كانت مدينة مليانة معقلا للثوار النوميد، علما أن أسرة الأمير فيرموس كانت تسيطر على منطقة واسعة من موريطانيا تمتد من جبال الببيان إلى نهر الشلف، فامتلكت مزارع شاسعة تشرف على على منافذ ومناطق استراتيجية هامة على غرار منطقة مليانة³⁵، ونظرا لصعوبة تضاريس المدينة فقد لجأ إليها الثائر النوميدي فيرموس (Firmus)، خلال مقاومته للاحتلال الروماني ملحقا بجيوشها هزيمة نكراء، لذا قام القائد الروماني ثيودوز (Théodose) بمغادرة قيصرية (شرشال حاليا) متجها صوب زوكابار (مليانة حاليا) تحديدا نحو جبل فرنسيلنس (Farancilans) وهو جبل زكار حاليا، بهدف القضاء على ثورة فيرموس عام 372م³⁶، وبدأت مسيرة القائد الروماني في الزحف على حساب القبائل المنضوية تحت لواء فيرموس، منها مدينة "تكافا" الواقعة بحوض الشلف، ليواصل سيره نحو مدينة زوكاباروكاستيليوم لتعقب فرق فيرموس، لكن ثيودوز وجد نفسه أمام قبائل رافضة للرومان وقبول

³³ محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م/40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر 1985.

³⁴ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 290.

³⁵ عبد الحميد عمران، مقاومات الاحتلال الروماني ثورة فيرموس سنة 372م أنموذجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 2، منشورات جامعة الشهيد حملة لخضر بالوادي - الجزائر، ص 4.

³⁶ محمد حاج صادوق، المرجع السابق، ص ص 21، 22.

بمقاومة شرسة أرغمته على العودة إلى يول خلال شهر فيفري 374م³⁷، علما أن النوميدي لم يأسوا في مقاومة الرومان رغم انهزام بعض القادة في مناطق عدة، بل واصلوا تكرار المحاولات وتكرار تجارب المقاومة من أجل إيقاف زحف الرومان، ومعبرين عن رفضهم القاطع للدخيل الأجنبي الروماني ورافضين لسياسته الرامية إلى الرومنة³⁸.

3-4 الفترتين الوندالية والبيزنطية:

دام الوجود الروماني بالجزائر القديمة مدة زمنية طويلة قاربت الخمسة قرون، وهو ما أخر غزو البرابرة الأوربيين وتم ذلك مع ملكهم أليريك، الذي نجح في العبور إلى شمال إفريقيا وكانوا سببا في إنهاء الوجود الروماني واستيطان الوندال للبلاد مدة تزيد عن قرن من الزمن³⁹، وقد وصلوا إلى الجزائر القديمة وقاموا بأعمال تخريبية مختلف المظاهر الحضارية لسابقهم على غرار الحضارة الرومانية، نظرا لتمييزهم بالهمجية والوحشية فإن آثارهم تكاد تنعدم بمختلف المدن الجزائرية على غرار مليانة⁴⁰.

تكاد المصادر التي تناولت تاريخ الوندال بالجزائر القديمة منعدمة وآثارهم المادية قليلة، ماعدا إشارات لهم في المصادر اللاتينية التي وصفتهم بالهمج والبرابرة، كما نجد لهم ذكر كبير لدى ضحاياهم من سكان الجزائر القديمة وذلك عند مصدر هام، وهو فيكتوريس فيتندسيس أو فيكتور الفيتي (*Vitensis Victor episcopus*)، الذي كان أسقفا للمزاق، وكتب خلال نفيه من طرف الوندال في منفاه بسردينيا واصفا اضطهاد الوندال للسكان المحليين⁴¹، خاصة وأن تنظيم وجودهم بالبلاد كان مجحفا تجاه البلاد والسكان، بحيث أعفى ملاك الأراضي الخصبة الونداليين من دفع الضرائب، بينما فرضت ضرائب مجحفة على بقية الملاك للأراضي شبه خصبة من غير الوندال⁴².
عمد البيزنطيون بعد إنهاء الوجود الوندالي ببلاد المغرب القديم على تقسيم البلاد على إلى ست ولايات، حتى يسهل على الإدارة البيزنطية تسييرها والسيطرة عليها منها ولاية موريطانيا القيصرية،

³⁷ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 8.

³⁸ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 68.

³⁹ محمد سعيد عمران، مملكة الوندال في شمال إفريقيا، دار المعارف، مصر 1985، ص 19.

⁴⁰ إبراهيم نغلي، المرجع السابق، 117.

⁴¹ كريم مناصر، قراءة في المصادر الأدبية المحلية حول الاحتلال الوندالي للمغرب القديم كتابات فيكتور الفيتي فيما تعلق بالاضطهاد الوندالي للمسيحيين الكاثوليك، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 10، العدد 4، 2022، ص 95.

⁴² محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 38.

والتي كانت تضم مليانة إلا أن البيزنطيون انحسرت سيطرتهم على المناطق الساحلية فقط⁴³، ولم يتوغلوا كثيرا في المناطق الداخلية بما في ذلك مدينة زوكابار، إلا أن ذلك لم يمنع من وصول تأثيراتهم الحضارية لا سيما الجانب العمراني، حيث تم العثور بالمنطقة على قطعة تزيينية على النمط المسيحي، نقشت عليها عجلة عليها رموز بيزنطية تشهد على التأثير البيزنطي، كما عثر كذلك على تاج عمود كورنثي بأطلال قصبة المدينة يحمل رسوما بيزنطية⁴⁴، وتبقى شواهد قليلة لدراسة هذا الجزء من البحث، لكنها كافية في إعطاء إشارة ولو بسيطة على مدينة مليانة خلال الفترة البيزنطية.

4. الخاتمة

خلصت مما تقدم إلى جملة من الاستنتاجات والنتائج التي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- مدينة مليانة رغم وقوعها في منطقة جبلية وداخلية إلا أن موقعها استراتيجي وهام، تمتلك مؤهلات طبيعية أهلتها لتتبوأ مكانة هامة عبر العصور التاريخية.
- رغم قلة الاكتشافات بالمنطقة التي تعود إلى فترة ما التاريخ، إلا أنها تعتبر إشارة قوية على استقرار الإنسان بمليانة منذ مدة زمنية قديمة جدا.
- المؤهلات التي تتوفر عليها المدينة جعلتها محط أنظار الوافدين والمحتلين، حيث استقر بها الفينيقيون واعتبروها إحدى مستوطناتهم ومنطقة إنتاج زراعي، بينما احتلها الرومان كبقية مناطق بلاد المغرب القديم ونظرا لاستراتيجية موقعها، جعلوا منها حامية عسكرية ونقطة مراقبة لأغلب المناطق المجاورة لها والمشرفة على واد الشلف.
- لم تذكر المصادر القديمة أي إشارة عن مدينة مليانة خلال فترة الاحتلال الوندالي، بينما اكتشفت مصادر مادية تعود للبيزنطيين الذين خلفوا الوندال في احتلال الجزائر.
- مدينة مليانة أو منيانة أو زوكابار وعلى اختلاف مسمياتها عبر العصور التاريخية، تبقى مدينة جميلة ذات مؤهلات طبيعية أدت دورا محوريا خلال الفترة القديمة ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا.

قائمة المراجع:

- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدينة، مليانة)، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، برج الكيفان - الجزائر 2007.

⁴³ يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، دار بهاء الدين

للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة - الجزائر 2009، ص 62.

⁴⁴ إبراهيم نغلي، المرجع السابق، ص 117.

- مارمول كربخال، إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط 1989.
- محمد حاج صادق، مليانة وولمها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1989.
- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان 1983.
- محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
- محمد رشدي جراية، السمات الحضارية للعصر الحجري القديم الأوسط في بلاد المغرب، مجلة البحوث والدراسات، العدد 15، السنة العاشرة، 2013، ص ص 283، 284.
- عبد المالك سلاطينية، بصمات الحضور الفينيقي البوني بشمال إفريقيا، دار الارشاد للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2013.
- محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، دار الهدى، عين مليلة – الجزائر، ص 2006.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثامن، تصحيح وترتيب أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، ط1، مصر 1906.
- محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م/40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر 1985.
- عبد الحميد عمران، مقاومات الاحتلال الروماني ثورة فيرموس سنة 372م أنموذجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 2، منشورات جامعة الشهيد حملة لخضر بالوادي – الجزائر.
- محمد سعيد عمران، مملكة الوندال في شمال إفريقيا، دار المعارف، مصر 1985.
- كريم مناصر، قراءة في المصادر الأدبية المحلية حول الاحتلال الوندالي للمغرب القديم كتابات فيكتور الفيتي فيما تعلق بالاضطهاد الوندالي للمسيحيين الكاثوليك، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 10، العدد 4، 2022.
- إبراهيم نغلي، تاريخ مدينة مليانة من خلال الكتابات التاريخية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 20، جوان 2018.
- يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة – الجزائر 2009.
- Basset ®, étudesur la Zenata de l'ouarsnis du maghrebcentralparts, Paris 18.
- BenyoucefAbas-Kebir, Miliana guide historique et culturel, In : Algermiliana.com

- Chabbi-chemrouk Naima et MenouarOussila, *Réhabilitation de l'architecture mineure a Miliana*, In : *Villes en parallèle*, n° 36-37, décembre 2003.
- Samira Bendris Oulbsir, *sur les traces du passé glorieux de l'ancienne Zucchabar*, In : *Liberté*, 24.02.2021.